Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التلفزيونية(الجوارح) أو (تل الرماد) أو (القلاع) أو (تاج من شوك) وسواها، فابتدع من الرافدين والنيل ما سماه بالنهر الكبير، ورشّ حوله بعليتا ووعليتا والمخاة وعمريت وبيت رع وباب إيل وشوباد، فتسمّت الأقطار والمدن العربية بأسمائها الروائية هذه، وأقام فيها النيلوتيون الذين تكتب الرواية تاريخهم – تاريخنا القريب والبعيد.

ويروي الرواية ذلك الجيل الذي شكّل الحقبة الشريدة المتأففة والسنين النبيلة، فالسارد هو الجماعة بضميرها المتكلم (نحن)، يسرد ذلك الماضي بعد انقضائه الفاجع الذي يدغم الحاضر الروائي بزمن القراءة. إنه –إنهم جيل شباب الاستقلالات: اسماعيل ومخيبر ومفيد ومصعب وحياة وسعدون وبدر الهلالي وطاهر العطا ونذير النميري وسواهم ممن يتمحورون حول فيضة، كالآخرين من الجيل السابق، ولذا يكون حديث فيضة حديث الشخصيات جميعاً، أي حديث الرواية برمتها، فكيف تحقق ذلك؟

***

منذ الصغر كانت لفيضة شطحاتها، كانت قلقة ولم تبلغ مثل النساء. ومصعب السبئي الشاعر الذي عرفها مجنونة ويراها قصيدة متمردة بلا وزن ولا قافية، يتساءل: "هل جنت لقتل أبيها وعريسها وبس"؟ أما مخيبر فيراها قديسة، بينما يراها الباشا ملتاثة لائثة، وينابيها الدراويش: يا مباركة. ومن ذلك وسواه تبدو هذه التي عشقها جني لجمالها، والتي تتقمص من دور إلى دور، فكرةً تتبأر فيها الأحداث والشخصيات والدلالات والخطاب، ليظل سؤال الرواية "أليست فيضة بشرية؟" معلقاً، ولتظل فيضة تفيض كاسمها وكالجماهير– في الرواية: الجماهير فيض. وبحسب الهبّات والانتكاسات يكون حيضها ومخاضها وخصبها. وحيث تكون المقاومة تكون، فمع مغاوير فيضي السعيد تظهر مضوأة الوجه وحاملاً، وهي التي تلتقط مرعي السنجاري فيحيا ويموت ممسوساً بها. وفي انتخابات 1946 تظهر لتختطف الهويات وتذروها وتورث الفوضى... لكأنها بذلك وبسواه تستعيد ما اعتور الشعر بخاصة من الترميز للوطن بالمرأة. ولكأنها أيضاً تستعيد شخصية مريم خضير من رواية (الوباء) للكاتب نفسه، فتنشبح بين التعيين والإقناع وبين الأسطرة والترميز الهائم وحده فوق التاريخ والجسد، شأنها شأن الفضاء الفانتازي للرواية.

***

قبل صدور (التلال) بسنة صدر الجزء الأول من رواية خيري الذهبي: